

حقوق الطلاب، الدعم الشعبي وكلفة التعليم العالي في الأردن: حالة الحملة الوطنية للدفاع عن حقوق الطلبة: “ذبحتونا”

فداء عديلي

مارس 2015

تأسست الحملة الوطنية للدفاع عن حقوق الطلاب “ذبحتونا”، في الأردن في نيسان إبريل 2007 في أعقاب احتجاجات نظمها الطلبة ضد الارتفاعات في الرسوم التعليمية. ومنذ بدايتها، دافعت الحملة، التي ارتبطت بشكل وثيق بحزب الوحدة اليساري الأردني وجناحه الطلابي، عن حقوق الطلاب، خاصة الحق بتعليم أسعاره معقولة، وحق التمثيل في إدارة الجامعة، والحق في الحريات السياسية الأساسية في الجامعات. ومن خلال استخدامها الماهر للإعلام وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة، سلطت الحملة الضوء بشكل متواصل على ما تعده سياسةً خصخصةً تدريجية للجامعات العامة، وكذلك الحريات المحدودة المتعلقة بتنظيم الطلاب وتمثيلهم في الجامعات في أنحاء البلاد.

تختلف حملة “ذبحتونا” في كثير من مظاهرها عن حركات طلابية أخرى. ذلك أن عضويتها مفتوحة وتتألف من مجموعة أساسية من الناشطين في عدة جامعات يعملون لتطويع طلاب آخرين. وبحسب طالبة حاورتها مجلة “السجل” الشهرية، إن الناشطين في الحملة هم بالعادة ذكور، يدفعون رسوماً تعليمية مرتفعة، ولهم انتماءات حزبية. وتقوم لجنة توجيه مؤلفة من الطلاب والخريجين الحديثين وأعضاء من حزب الوحدة وناشطين آخرين بتنسيق البحث والعمل الإعلامي للحملة. ويتضمن كثير من أنشطتها تأمين الدعم من الأفراد والمجموعات من طيف سياسي واسع. وقد حددت دورها كجماعة مراقبة ودعم، وغالباً خارج مجال الحرم الجامعي. ومن خلال تغطية منتظمة لمسائل تهمة الناس، نجحت حملة “ذبحتونا” في تأسيس صوت عام لصالح الطلبة في الأردن والمحافظة عليه، وفي أن تصبح مصدر المعلومات في سياق غالباً ما يوجد فيه القليل من الشفافية حيال موضوعات كالميزانية ومعونات الحكومة والسياسات المالية.

هناك أربعة أهداف تشكل الأجندة الرسمية للحركة:

- إلغاء الزيادات في الرسوم الجامعية والعمل لضمان تعديل الرسوم التعليمية كي تعكس مستويات الدخل لدى المواطنين الأردنيين.

- إزالة اللوائح التأديبية الخاصة بالطلاب في الجامعات.

- إنهاء تعيين الطلاب في مجلس الطلاب في الجامعة الأردنية (الجامعة العامة الأولى في البلاد، التي تأسست في 1962)، وإنهاء "شخص واحد صوت واحد".

- تأسيس اتحاد عام للطلبة الأردنيين.

سعت "ذبحتونا" إلى تحقيق هذه الأهداف بشكل رئيسي من خلال الفعل والدعم الاجتماعي، والبحث والتغطية في الإعلام وتنظيم الورشات وحلقات البحث. وكانت جهودها في البحث والمراقبة والدعم أكثر فعالية في إنشاء وإدامة الحملة في نظر الجمهور العام.

تعمل "ذبحتونا" كمراقب رسمي للأنشطة في الجامعات في الأردن. ويتابع أعضاؤها، على نحو خاص، أية تطورات جديدة تتعلق بالتمويل الحكومي للتعليم العالي والرسوم التعليمية وميزانيات الجامعة وانتخابات الطلاب واللوائح التأديبية للطلاب في الجامعات وحالات خاصة تُطرح ضد الطلاب وتشريع جديد يتعلق بالتعليم العالي.

وكي تسلط الضوء على موضوع مهم، تحضّر "ذبحتونا" عادة نشرات إخبارية، تنشرها على موقعها على الانترنت وترسلها إلى وسائل الإعلام، وفي بعض الحالات، إلى منظمات حقوق الإنسان. وتكتب أيضاً رسائل احتجاج موجهة إلى مسؤولين جامعيين أو حكوميين لهم علاقة بالموضوع؛ وتوزع الرسائل أيضاً على الصحافة وتنشر على موقع المنظمة. بالإضافة إلى ذلك، نشرت الحملة عدة تقارير توثق تراجع دعم الدولة للجامعات العامة في البلاد، وتوثق أيضاً عدداً من الانتهاكات لحقوق الطلاب في الجامعات.

تتضمن أفعال أخرى ورشات وحلقات بحث تتناول موضوعات مثل وضع خصخصة التعليم العالي والعنف داخل الجامعات. وصارت هذه المناسبات منابر لتقديم مكتشفات البحث الخاص الذي تقوم به المنظمة، ووسيلة لجمع مجموعة أوسع من أصحاب المصلحة، ومنندى لحل المشكلات من خلال النقاش وتقويم الذات. وانخرطت "ذبحتونا" أيضاً في أفعال أكثر مباشرة كمثّل المظاهرات والمسيرات والاعتصامات المنظمة إلى حد كبير خارج الجامعة بما أنها ممنوعة تقنياً في الجامعة. وجذبت بعض هذه المناسبات انتباهاً إعلامياً واسعاً، وفي أحد الأمثلة أعاق حضور المراسلين فض المسؤولين الأمنيين لاحتجاج نظمته "ذبحتونا"، بالرغم من أنه أعلن رسمياً أنه شكل انتهاكاً لقوانين الاجتماعات العامة

كانت ردود الفعل الرسمية على الحركة سلبية على نحو كبير، باستثناءات قليلة. وفي انسجام مع تاريخ من القمع الحكومي للنشاط الطلابي الاجتماعي والسياسي في الأردن، واجه الطلاب الناشطون في حملة "ذبحتونا" المضايقات من القوى الأمنية. وكان الموقف الرسمي

لإدارات الجامعات هو تجاهل أو إنكار وجود الحملة أو فعاليتها. وقد ردت إدارات الجامعات على النشاط في الجامعة عموماً من خلال محاولة منعه ومعاقبة الطلاب المتورطين. تجسّد حملة "ذبحتونا" في سياق أمكنة مقيدة للنشاط السياسي في الأردن المعاصر الطرق التي يمكن أن يُعبأ بها الإعلام الجديد والتكنولوجيا لفتح مجالات بديلة للفعل الاجتماعي. يشير منظّمو "ذبحتونا" إلى عدد من الجهود الناجحة لحركتهم لصالح حقوق الطلاب في الأردن. فقد كانت الحملة، على سبيل المثال، جزءاً من معارضة تعيين ممثلي مجلس الطلاب في جامعة الأردن. وفي خريف 2008 راجعت إدارة الجامعة سياساتها بهذا الخصوص ونظمت انتخابات كاملة لمجلس الطلاب. وبعد هذا النجاح المهم، واصلت الحملة مراقبة الانتخابات الطلابية والتحدث عن المخالفات. ولعبت أيضاً دوراً في إيقاف رفع الرسوم الدراسية وفي عكس قرارات الجامعة بخصوص الأجور التي يدفعها الطلاب. بالإضافة إلى ذلك، كانت ناجحة في الدفاع عن الطلاب الذين واجهوا إجراءات تأديبية في جامعاتهم، إما بتخفيف الأفعال أو إلغائها تماماً.

تمتعت حملة "ذبحتونا" بشكل عام بتغطية واسعة لأنشطتها في عدد من وسائل الإعلام الأردنية وبتغطية أحياناً من إعلام المنطقة كقناة الجزيرة وكذلك صحيفة القدس العربي التي تصدر في لندن. وبالنسبة لبعض المراقبين، هذه أحد التفسيرات لقوة الحملة المستمرة. إن إحدى نقاط قوتها هي حقيقة أنه بتركيزها على كلفة التعليم العالي، تشدد "ذبحتونا" بشكل غير مباشر على اهتمامات أوسع لدى الأردنيين حيال خصخصة الخدمات العامة، واللامساواة في الدخل، وصعوبة الوضع الاقتصادي في البلاد بشكل عام أكثر.